

The concept of colloquial arabic and its role in the teaching and dissemination of Arabic to Abdarahman Hadj-salah.

أ.د حسين بن زروق ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2

تاريخ النشر: 2024/12/04

تاريخ القبول: 2024/12/02

تاريخ الاستلام: 2024/11/29

ملخص:

إنّ هذا المقال يبيّن لنا إحدى مساهمات الأستاذ الحاج صالح في تطوير اللغة العربية ورقّمها، حيث درس جانبا مهما من هذه اللغة دراسة علمية دقيقة وافية، فهو يعتبر العامية العربية لغة عفوية تحتل المستوى الثاني من التعبير للفصحى، وهي لغة التخاطب اليومي تطورت عن العربية الفصحى المنطوقة، وبقيت ذات علاقة وطيدة جدا بها، وتمتاز بالخفة والسهولة المبالغ فيها . إن الهدف من دراستها هو إحياء التعبير العفوي الفصيح، وبالتالي توسيع دائرة الفصحى والخروج بها من انزوائها في الأدب والدين إلى كل ميادين الحياة وخاصة في التخاطب اليومي. ولتحقيق هذا الهدف النبيل وضع الأستاذ الحاج صالح منهجا علميا لذلك وهو التحليل العلمي لها بالاعتماد على تراث النحاة واللغويين الأوائل وأهل الأداء للقرآن الكريم للتوصل إلى المتفق عليه أو المشترك الفصيح، وإدخال ذلك في مناهج التعليم والكتب المدرسية والمجال الثقافي والإعلامي وغير ذلك حتى تنتشر الفصحى انتشارا واسعا.

الكلمات المفتاحية:

العامية العربية، التخاطب اليومي، العربية الفصحى، التعبير العفوي الفصيح.

Abstract :

The concept of Colloquial Arabic and its role in the teaching and dissemination of Arabic to Arab men –hadj-salah.

This article shows us one of the contributions of professor hadj-salah in the development and progress of the Arabic language as he has studied an important aspect of this language and scientific study.

It considers colloquial Arabic spontaneous language that occupies the second level of expression for Modern Arabic and it is the language of daily communication that evolved from the spoken Modern Arabic and has remained a very close relationship with it. and it is characterized by its lightness and exaggerated ease.

The aim of her study is to revive the spontaneous eloquent expression and thus expand the circle of Modern Arabic bring it out of its isolation in literature and religions to all fields of life especially in daily communication.

In order to achieve this noble objective. Professor hadj – salah developed a scientific approach for this, which is the scientific analysis of it relying on the heritage of grammarians linguistics and performances of the early noble Quran to reach the agreed upon or common eloquent, and to include this in education curricula, textbooks, and the cultural, and media field, otherwise, it will spread widely.

Key Words

Colloquial Arabic ,daily communication , Fosha Arabic ,Spontaneous eloquent expressions.

Résumé :

Cet article nous montre une des contributions du professeur Hadj – salah dans le développement et le Progrès de la langue arabe ,puis qu'il a étudié un aspect important de cette langue dans une étude approfondie et scientifique.

Il considère l'arabe parlée comme une langue spontanée qui occupe le deuxième niveau d'expression de l'arabe fosha , et c'est la langue de communication quotidienne qui a évolué à partir de l'arabe fosha parlée et est restée une relation très étroite avec lui et se caractérise par sa légèreté son exagération facilité. Le but de son étude est de raviver l'expression spontanée et éloquente et ainsi d'élargir le cercle du fosha et de la faire sortir de son isolement dans la littérature et de la relier à tous les domaines de la vie en particulier dans la communication quotidienne.

Afin d'atteindre ce noble objectif, le professeur Hadj – salah a développé une approche scientifique pour cela. ce qui est l'analyse scientifique de celui-ci en s'appuyant sur l'héritage des grammaires, des linguistes , et des interprètes du premier noble coran pour atteindre l'accord sur du commun éloquent et de l'inclure dans les programmes d'enseignement , les manuels, et les domaines culturels médiatiques, faute de quoi et se reporter largement

Mots Clés :

L'arabe parlée, communication quotidienne, l'arabe Fusha
l'expression Spontanée et éloquente.

خطة المقال :

مقدمة

مدخل: مفهوم العربية الفصحى وشروطها

1- مفهوم العامية العربية.

2- الهدف من دراسة العامية العربية.

3- دور العامية العربية في تعليم ونشر العربية الفصحى.

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة

اللغة أداة مهمة جدا للتواصل والرقى والتطور لدى الأفراد والجماعات والأمم والشعوب وخاصة في جانبها المنطوق المتداول في التخاطب اليومي بين الناس ، وهو لغة التخاطب اليومي أو ما يعرف عندنا في الدول العربية الإسلامية باللهجات أو العاميات أو اللغة الدارجة أو الشعبية. هذا ما سنحاول أن نعرفه ونفصله عند أستاذنا الجليل العالم اللغوي والعلامة عبد الرحمن الحاج صالح - رحمه الله- المختص في اللسانيات العامة والعربية خاصة. وكان له فضل وباع طويل في هذا الميدان الذي بذل فيه جهودا كبيرة جدا ، تستحق العناية والبحث والتنويه بها ، لأن لها قيمة علمية كبيرة جدا ، وهي تنير لنا الطريق خاصة فيما يتعلق بلغتنا العربية الفصحى الشريفة، فجزاه الله خير الجزاء.

من هنا نحاول أن نعرف بمفهومه ومنهجه وموقفه من إحدى دراساته
الواسعة وهي اللهجات أو العاميات العربية القديمة والحديثة، والهدف من
دراسة هذه العامية العربية، ودورها في تعليم ونشر العربية الفصحى مع بعض
الإضافات المتواضعة من عندنا نحن الباحث التي تثير هذه العربية الفصحى
لكي تنتشر انتشارا واسعا وتتطور في عصرنا هذا مع التكنولوجيا أو التقنية
الحديثة.

مدخل

مفهوم العربية الفصحى وشروطها:

قبل الكلام عن مفهوم الحاج صالح للعامية العربية ودورها في تعليم ونشر
العربية الفصحى، لابد من الحديث باختصار عن مفهوم العربية الفصحى
وشروطها، لأن ذلك له علاقة وطيدة جدا بهذه العامية ومرتبطة بها أشد
الارتباط كما سنرى

إنّ العربية الفصحى عند عبد الرحمن الحاج صالح هي اتباع النظام اللغوي
العربي في كل مستوياته اللغوية دون لكنة (haj-salah 1.1979/53.54)

وشرطها هو الكثرة أو الشيوع دون نسيان القلة (المليحة والقبيحة وكلها
فصيحة وهي اللغات أو اللهجات بقوله " إنّ المعيار الذي حدده العرب للعربية
لا يشبه أبدا المعيار اللغوي الذي يخص طبقة اجتماعية معينة كالبرجوازية أو
الطبقة الحاكمة. أو أي شريحة اجتماعية أخرى فالمعيار اللغوي عند لغوتنا
هو " لغة عامة العرب " أو لغة الكافة" وهو معيار موضوعي لأنه معيار للغة
الأغلبية لا لفئة قليلة وهذا المبدأ هو الآن المعمول به في وصف اللغات، فلا
توصف لغة إلا إذا حدد كيانها الجغرافي ومجموعة الناطقين

بها واعتبار الأكثر الأغلب من ضروب كلامهم مع التنبيه على القليل في الاستعمال (الحاج صالح.2007.ص400).

هذا القليل هو ما يعرف باللغات وهي "كيفية اختصت بها قبيلة أو بعض أفراد الأمة دون غيرهم في أداء بعض الأوضاع اللغوية (الحاج صالح.1973.ص38).

ويظهر هذا في كل المستويات اللغوية مثل إبدال الحروف (أريد أرمذ) في المستوى الصوتي والذي للذون في المستوى الصرفي. وما هذا بشر (تميم) وما هذا بشرا وقريش.... الخ (صالح.154.2007.ص).

ويعتبر الحاج صالح هذا القليل أو اللغات كلها عربية فصيحة ما دامت قد سمعت من العرب الفصحاء (hadj salah1979..2. 1040.1039)

والتفصيل حول هذه اللغات انظر (الحاج

صالح.2007.ص179.180.181.182)

ونضيف أن هذه اللغات بجيدها ورديتها أو ضعفها موجود أيضا في المجتمع وفي الحياة كلها فهناك الإنسان القوي والمتوسط والضعيف وكذلك في النبات والحيوان مثل التمر: هناك الأجود والجيد والرديء، وسائر المخلوقات ماعد الخالق سبحانه وتعالى.

والشرط الآخر هو التحديد الزماني والمكاني:

يبين الحاج صالح أن هناك أربع فترات منذ العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري:

- الفترة الأولى: العصر الجاهلي 150 سنة قبل الهجرة. كل القبائل

العربية. الشعر فقط.

- الفترة الثانية: بين العصر الجاهلي والإسلامي 150 قبل الهجرة إلى 41هـ

كل القبائل العربية، الشعر فقط

- الفترة الثالثة: الإسلامي والأموي والعباسي من 41 إلى 183 هـ ذهاب الفصاحة عند الحضر البدو فقط
- الفترة الرابعة: من 183 هـ إلى 392 هـ ذهاب الفصاحة عند الحضر، بقاء بعض البدو.

ويخلص الحاج صالح إلى العربية بشرطها الكثرة والتحديد الزماني والمكاني بقوله:

إنّ العربية التي نزل بها القرآن
والعربية التي نظم بها الشعر الجاهلي والإسلامي والعربية التي دونها العلماء
القدامى من استماعهم لمخاطبتهم هي عربية واحدة مع اختلاف غير كبير بين
جهة وأخرى ، وإن كان العربي يقدم على النطق بكل واحد من هذه الخطابات
بما اكتسبه من ملكيته وعادة المنشأ اللغوي، دون أن يخشى في ذلك أي شئ
إطلاقاً، فهو يستعمل من ذلك ما اشتركت فيه قبيلته أو قريته مع غيرها،
وهذا يكون تسعين بالمائة من لغته، ولا يتوزع في استعمال خاصيته القبلية أو
الإقليمية (الحاج صالح، 2007، ص189)

العربية الفصحى مستويان من التعبير

يوصل الأستاذ الحاج صالح الكلام على العربية الفصحى فيذكر أنّ للعربية
مستويين من التعبير مستوى ترتيلي إجمالي متكلف ومستوى استرسالي
عفوي، (الحاج صالح، 1986، (ملتقى) ص3)
فالمستوى الأول أي الترتيلي الإجمالي أو مقام الحرمة أو الانقباض يتميز
بالعناية الشديدة للغة من نطق الحروف ومد الحركات خاصة الإعرابية
والإظهار الحروف وانتقاء الكلمات، أي اللغة الراقية البليغة، وهذا يظهر في
الشعر والخطب والقصص والروايات وخطب المسجد والإذاعة و التلفزة
والمدارس (الحاج صالح، المصدر نفسه)

والمستوى الثاني أي العفوي الإسترسالي أو مقام الأنس ، يتميز بالخفة أو السهولة بالاختلاس الحركات والحذف والإدغام الجائز والإظهار والتقديم والتأخير ، ويوجد لكثرة في لغة التخاطب اليومي عند عامة الناس (الحاج صالح ، المصدر نفسه ، وانظر: الحاج صالح ، 2007، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية 1/163، 162).

وهذه أمثلة خاصة بالمستوى الثاني الذي له علاقة وطيدة جدا بالعامية العربية التي سنفصلها فيما يأتي عند الحاج صالح.

المستوى الصوتي: اختلاس الحركات (وسط الكلام) يضرُّها (يضرُّها)
الحركات الإعرابية (الوقف على السكون)

الإدغام: ذهبت سَلَمَى

تخفيف الهمزة: ذئب،. ذيب....الخ

المستوى الصرفي: أحست (أحسست)

بنو الحارث (بلحرث)....الخ

المستوى التركيبي: إيش هذا، أي شئ هذا.....الخ، (الحاج صالح، 2007 بحوث ودراسات في اللسانيات العربية 1/76، 80، وانظر السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة ص 186-188)

ونوضح في الأخير أنّ المستوى الأول (الترتيب الإجمالي) هو خاص بفئة من الناس، أي النخبة من شعراء وكتاب وروائيين وخطباء وأساتذة ومفكرين، وهو أيضا مستوى راقٍ، أي بليغ فني وجميل وقليل وثنائي غير أساسي ، أما المستوى الثاني (العفوي الإسترسالي)، فهو عام (العامة الناس) بسيط، كثير جدا ، أساسي لا يستغنى عنه.

فالعربية الفصحى إذن تجمع بين هذين المستويين باعتدال ووسيطه، فلا مبالغة في الأول أو التشدد والاقترصار على الأدب أو الشعر فقط ولا في الثاني أو الخفة والسهولة الزائدة فقط كما نجد ذلك في العامية الملحونة.

1. مفهوم العامية العربية

يعرف الاستاذ عبد الرحمن الحاج صالح العامية العربية انطلاقاً من العربية الفصحى ومن اللغات البشرية عموماً، فهي تتميز بما يأتي:

- هي لغة التواصل الطبيعية الشائعة بين عامة الناس لقضاء حاجاتهم اليومية:

يقول في ذلك الحاج صالح: "العامية التي نقصدها هنا هي لغة التخاطب العفوية الجارية على السنة الناس اليوم في الحاجات (الحاج صالح، 2007 ص 208". ويوضحها أكثر في موضع آخر بقوله: "واللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد في الحاجات اليومية، وفي داخل المنازل وفي وقت الاسترخاء والعفوية ليست هي العربية الفصحى، بل اللهجات العامية (الحاج صالح، 1، 2007/68).

- نشأتها قديمة جداً (ومنذ القرن الثاني الهجري):

- يقول الحاج صالح: "وفشا اللحن ابتداء من القرن الثاني حتى عمّ في أواخر هذا العصر كل المدن، وختم بذلك عهد الاستشهاد وبأهل الحضر، وانتهى عهد الرجوع إلى الشعر في المدن بمن تسموا بساقة الشعراء، وتغيرت العربية حتى كثر في التخاطب العادي ما ليس من الكلام العرب وهي العربية الملحونة التي حتى سميت فيها بعد بكثير بالعامية" (الحاج صالح، 2007، ص172)

- هي عبارة تطور للعربية الفصحى المنطوقة:

يقول الحاج صالح موضحا ذلك " اللهجات العامية التي هي نتيجة تطور الفصحى المنطوق بها ولهجاتها "(الحاج صالح، 2007، 1/، 68)

- لها علاقة وطيدة جدا بهذه العربية الفصحى:

بما أنها عبارة عن تطور للعربية الفصحى المنطوقة، فهي قريبة جدا منها وترتبط بها ارتباطا شديدا خاصة في المستوى المعجمي، يقول الحاج صالح في ذلك: " تفتن العلماء والكثير من المثقفين إلى وجود القسط الكبير من المفردات في العاميات الحالية وهي فصيحة أو قريبة جدا من الفصحى، إذا تكون 80% من ألفاظ التخاطب اليومي في وقتنا الراهن " (الحاج صالح، 2007/1 74)

- سقوط الإعراب من العامية:

حيث فقدت هذه العامية الإعراب لاعتمادها على الأداء العفوي الخفيف يقول في ذلك الحاج صالح: حركات الإعراب التي قد سقطت من العامية، فابتعدت الفصحى في مستواها التخاطبي عن الأداء العفوي اذ حافظت العامية على الخفة لأنها لغة تخاطب " (الحاج صالح الفصحى 2007، 1/، 104)

- احتلال المستوى العفوي من الفصحى بصورة مبالغ فيها كثيرا:

حيث أخذت هذا المستوى العفوي أو الإسترسالي (انظر مقلناه سابقا عن مستويات الفصحى) من الفصحى الذي بالغت فيه كثيرا، ولكن ليس كله لحنا فكثير منه سواء كان صيغا أو تراكيب أو أصوات أو مفردات فصيح، يقول في ذلك الحاج صالح " هذا المستوى (العفوي الإسترسالي) هو الذي تحتله اليوم العامة..... فهو الآن المستوى المستخف إلا أنه ملحون وليس كله لحنا فإن الكثير من الكلام العامي هو فصيح لا من حيث صبغ الكلمات ومدلولاتها فحسب، بل حتى في تراكيبها وتأديتها الصوتية " (الحاج صالح، 1، 2007/163)

- هذا المستوى العفوي في الفصحى عاد وطبيعي ،وفي العامة مبالغ فيه كثيرا:

كما قلنا سابقا، لقد بالغت العامة في هذا المستوى، ويوضح الحاج صالح هذا أكثر بقوله " نفس هذه الظواهر (أي الخاصة بهذا المستوى من اختلاس للحركات وحذف وإدغام جائز وإضمار وتقديم وتأخير) قد يشاهدتها الألمي منا في اللغة التي احتلت مكان الفصحى في التخاطب اليومي، وهي اللهجة العربية المحلية، إلا أنّ الفرق بينهما أنّ اللهجة العامة قد أصابتها تغييرات لم تحسب بها الفصحى كسقوط الإعراب في جميع الأحوال والتنوين وعلامات التثنية في أكثرها واختزال بعض الأدوات وغيرها " (الحاج صالح، 2007 / 1، 177).

ويضرب الحاج صالح مثالا عن ذلك وهو المبالغة في ظاهرة اخلاس الحركات حتى في بداية الكلام مع وسطه و آخره مثل كتاب يقول في ذلك الحاج صالح " ظاهر الاختلاس للحركات ظاهرة عامة الوجود في اللغات البشرية " وذلك بالنسبة لمستواها العفوي لا المتكلف والأمثلة على ذلك في اللغة الفرنسية والإنكليزية أكثر من أن تحصى وكذلك الأمر في عاميات اللغة العربية وخاصة في لهجات شبه الجزيرة العربية والمغرب، وقد بالغ في ذلك هذه البلدان حتى أوقعوا الاختلاس على صدور الكلمات الثلاثية وما فوقها مثل :

"كتاب " نطق به بحركة مختلصة بين الكاف والتاء.(الحاج صالح، 2007/1، 78).

وهذا الاختلاس للحركات وجد قديما، يقول الحاج صالح " وهذه الظاهرة ثابتة أيضا فيما وصلنا من كلام العرب فقد ذكر سييويه هذا البيت:
وإني بما قد كل فقني عشريتي من الذل عن أعراضها
لحقيق

والشاهد فيه إخفاء حركة الباء في " بما " (الكتاب، 2/408) (الحاج صالح، 11، 2007/1، 76) لكن اختلاس حركات
بداية الكلمة في الفصحى نادر جد، وفي العامية كثيرا جدا مبالغ فيه.

- سبب هذا الاختلاف بين الفصحى والعامية حضاري " التخلف

والجهل

يقول في ذلك الحاج صالح موضحا " ازدادت العاميات ابتعادا عن لغة الثقافة وهي الفصحى بانتشار الأمية خاصة بعد هذه القرون الطويلة من الجمود الفكري العربي وسياسة الإفقار والتجهيل التي سلطها المستعمرون على غيرهم " (الحاج صالح، 2007، ص131).

وعليه، فإننا نخلص في الأخير إلى التعريف النهائي للعامية العربية عند الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح فنقول :

إن العامية العربية هي لغة التخاطب العفوية الشائعة بين عامة الناس، كانت نشأتها قديمة منذ القرن الثاني الهجري، وقد تطورت عن العربية الفصحى المنطوقة، ولها علاقة وطيدة جدا بها

(تحتل المستوى الثاني من التعبير)، بحيث بقيت على هذه العلاقة الوطيدة جدا بها رغم سقوط الإعراب منها على العموم، إلا أنها بالغت في استعمال المستوى الثاني من خلال السهولة والخفة من دون ضوابط، وهذا بسبب

التخلف الحضاري والعلمي وسياسة الإستعمار (الاستعمار) القائمة على الجهل والفقر والتخلف.

فإذن هذا تعريف علمي دقيق، شامل وموضوعي، فيه تجديد لم نعثر على مثله بهذه الدقة والتفصيل عند غيره من العلماء والباحثين العرب المحدثين والمعاصرين.

2 - الهدف من دراسة العامية العربية

لا يهدف الحاج صالح من دراسة العامية إلى البحث والدراسة وحب الاستطلاع أو ملء الفراغ وقضاء الوقت، بل له أهداف وغايات نبيلة شريفة، وهي في عمومها خدمة العربية الفصحى وبالتدقيق إحياء التعبير العفوي الفصيح، والخروج من انزواء الفصحى في الأدب، وتوسيع دائرتها إلى ميادين واسعة وخاصة ميدان التخاطب اليومي كما سنفصل.

أ. إحياء أو بعث من جديد التعبير العفوي الفصيح غير المتكلف:

إنّ هذا التعبير العفوي الفصيح وجد عند النحاة واللغويين وأهل الأداء (للقرآن الكريم) الذين شافهوا فصحاء العرب بقوله "....إنما الذي نقصده هو إحياء التعبير الفصيح غير المتكلف الذي وصفه باستفاضة العلماء الذين شافهوا فصحاء العرب، وسمعوا منهم ودونوا كلامهم واستنبطوا قوانين هذا التعبير، ونهوا على المطرد منه والكثير والنادر لمقيس وغير المقيس ولا سبيل إلى وجود مثل هذه الأوصاف إلاّ عند النحاة واللغويين الذين شافهوا فصحاء العرب وأهل الأداء" (الحاج صالح، 2007، 1/164).

ونضيف إننا اليوم في حقيقة الأمر لسنا في حاجة إلى إحياء اللغو العربية الفصحى للتغيير العفوي الفصيح فحسب، بل إننا في حاجة ماسة أيضا إلى إحياء كل ماله علاقة بالحضارة العربية الإسلامية وخاصة ماله علاقة بالمجتمع

من لغة كما أسلفنا ومأكل وملبس وعادات وتقاليده ودين وعلوم أخرى، أي كل ماله علاقة بالتراث العربي الإسلامي الذي مازال يصلح جزء كبير منه تخلينا عنه و شوهناه أو حرفناه منذ عصر الانحطاط إلى يومنا هذا على العموم .

ب. الخروج من الأنزواء الذي أصاب العربية الفصحى وهو الأدب

(المستوى الترتيلي) :

أي إدخال العربية الفصحى لهذا المستوى العفوي إلى كل مجالات الحياة وخاصة التخاطب اليومي، وفي هذا يقول الحاج صالح ذلك " فإن أردنا ألا تنحصر لغتنا في الاستعمال الانقباضي الذي لا يغطي جميع أحوال الخطاب ، فلا بد من إحياء التعبير الفصح غير المتكلف، فتدخل بذلك العربية في جميع الميادين النابضة بالحياة ، وتخرج من الانزواء الذي أصابها منذ أن دعا البلاغيون في عهد الانحطاط إلى ترك الألفاظ التي تستعملها العامة، ولو كانت فصيحة قرئ بها القرآن " (الحاج صالح، 1، 178/2007).

أي باعتماد سياسة التثقيف والتعليم الواسع والشامل العميق لا الجهوي أو المحلي أو الطبقي، وبثقافة شاملة لكل المجالات التي تؤدي على التوالي إلى لغة فصحى واسعة شاملة.

ج- توسيع دائرة الفصحى بإدخال العامية العفوية الفصيحة:

أي يضم هذه العامية الفصيحة إلى العربية الفصحى فتتسع دائرة الفصحى وخاصة في مجال التخاطب اليومي، وفي هذا يقول الحاج صالح: " ونحن لا ننكر أبدا الدراسة العلمية لهجات العربية، بل ندعو إلى ذلك خصوصا أن جانباً فصيحا واسعا (ورد ما يماثله عن فصحاء العرب وقرئ بها القرآن) نريد أن نستغله لتوسيع دائرة الفصحى، وإعادة مستواها العفوي الذي فقدته بحلول العامية الملحونة محله في التخاطب اليومي . وهذا ليس معناه إعطاء العامية

أي اعتبار إنما الغرض هو الاعتناء بجانب من العربية الفصحى – الجانب العفوي غير المتكلف – الذي فقدته مع مرور الزمان بجعل الكتاب إياها لغة خطب وشعر فقط " (الحاج صالح، 1986، محاضرة في ملتقى، ص 11.10). هذا مرتبط بما سبق. إن ربط الفصحى بالأدب وخاصة الشعر جاء نتيجة ثقافة العاطفة والجهل والعصبية للتخلف الحضاري، لأن الأدب (الشعر) وحده لا يقدم الشعوب ولا يطورها (مثلا العرب كانوا بارعين في الشعر) في الجاهلية وكانوا متخلفين حضاريا، إنما الذي يطور ويقدم الشعوب والأمم هو العلم والثقافة الواسعة الشاملة لكل ميادين الحياة

3- دور العامية العربية في التعليم ونشر

العربية الفصحى (المنهج المطبق عليها)

حسب الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، سيكون للعامية العربية دور كبير جدا في تعليم ونشر العربية الفصحى، وذلك بإتباع المنهج أو الخطوات التربوية الآتية:

أ. التحليل العلمي لهذه العامية بالاعتماد على النحاة واللغويين

الأوائل وأهل الأداء:

يكون ذلك في مستوى البحث العلمي في الجامعة، يقول الحاج صالح موضحا ذلك " بالنسبة إلى العربية، فيجب أن نجعل التأدية العفوية للغة الفصحى في مستوى الأصوات ومستوى البنى الإفرادية والتركيبية، وهو المبدأ أو المنتهى، ولا بد من أجل ذلك من تحديد معايير بالاعتماد على ما تركه العلماء العرب الأولون من أو صاف دقيقة لهذه التأدية، وعلى التحليل العلمي لما تبقى من الأداء الفصيح في بعض اللهجات العربية الحديثة " (الحاج صالح، 1973/974 (مقال) ص 29.30)

وفصل الأمر في موضع آخر عن كيفية أو طريقة ومنهج هذا التحليل العلمي لهذه العمليات بفرق بحث (جماعي لا فردي تطبيقي فريق خاص لدراسة العاميات العربية الحالية بقوله: "يقوم من الباحثين بمسح شامل اللغة التخاطب في البلدان العربية على أساس برنامج دقيق يشمل التحريات الميدانية على تسجيل الكلام المنطوق العفوي حسب ما تفضيه التحريات اللغوية، ثم تفرغ هذه المعطيات في جذا ذات حتى يمكن دراستها دراسة علمية وتطبيقية" (الحاج صالح، 2007/1، 82).

وفريق آخر خاص لدراسة (التحليل) نظري ما تركه لنا النحاة واللغويين الأوائل وأهل الأداء يقول في ذلك الحاج صالح: "يقوم فريق آخر بالجانب المتعمق للتعبير الشفاهي الفصيح من خلال ما تركه لنا العلماء الذين شافهوا فصحاء العرب، و ما روي وبعدها تأتي المقارنة بين عمل الفريقين لاستخراج المشترك من القراءات القرآنية المتواترة، استخراج الأنماط الأدائية لهذا المستوى" (الحاج صالح 2007/1، 82).

أو المتفق عليه بين العامية والفصحى، يقول في ذلك الحاج صالح: "يقارن هذا المستوى العفوي الفصيح المأثور بما دونه الفريق الأول حتى يتوصل إلى المشترك بينهما (ولا يكون إلا فصيحاً وفي الوقت نفسه مستخفاً عفوياً) في جميع مراتب اللغة: الأداء الصوتي والمفردات والتراكيب والأساليب" (الحاج صالح، 2007، 81/1).

وقد طبق عبد الرحمان الحاج صالح فعلاً هذا المنهج في عدة مشاريع بحث منها:

- مشروع الرصيد اللغوي الوظيفي (المغربي) 1981.

الذي يهدف إلى وضع المصطلحات والتراكيب الخاصة بلغة التخاطب اليومي الفصيحة مغارياً.

- مشروع الرصيد اللغوي العربي، 1985.

الذي يهدف كذلك وضع المصطلحات والتراكيب الخاصة بلغة التخاطب الفصيحة عربيا.

وهما عبارة عن عمليين جماعيين كبيرين وهناك رسائل جامعية تدخل في هذه الإطار منها.

- رسالة الطالب: حسين بن زروق في الماجستير 1987م. النظريات العربية حول حصول ملكة اللغة.
- رسالة الطالبة: فطومة سويس في الماجستير 1988م. مقارنة تحليلية بين لغة التحرير ولغة التخاطب بالفصحى.
- رسالة الطالب أيضا: حسين بن زروق في الدكتوراه. 2006م. العامية الجزائرية وجذورها الفصيحة ، دراسة مقارنة وغير ذلك كثير.

ب- إدخال هذا المشترك أو المتفق عليه في مناهج التعليم والكتب المدرسية (مستوى التكوين في التعليم):

أي تحويل ما قام به الفريقان السابقان إلى تطبيق ميداني في التعليم من قبل فريق آخر ثالث وهم المربين (مؤلفو الكتب المدرسية والجامعية) يقول في ذلك الحاج صالح: " يقوم فريق من العلماء بدراسة هذه الأشياء .وتصنيفها وتحديد لها والتمثيل لها قصد إدراجها في مناهج التعليم والكتب المدرسية " (الحاج صالح، 2007/1، 78، 79).

ثم يفصل الحاج صالح القول في هذا كعاداته بقوله: "يؤلف الفريقان بالاستعانة بالمربين كتابا لتعليم اللغة الفصيحة المنطوقة والمشاركة وليكون كمرجع للمعلمين- تدمج عناصر هذا الكتاب الأساسية في التعليم من خلال المناهج من جهة، ومن جهة أخرى بيان المقصود منها. وهو تعليم مستوى المشافهة الذي فقدته اللغة العربية منذ أن غزت الأمية الناس – تنظيم دورات تدريبية لإطارات التربية لتوعيتهم بخطورة الثنائية المطلقة التي تؤدي إلى

الفصل بين المشافهة والتحرير بل وخطرهما على مستقبل العربية وأهمية التمييز بين مستويات التعبير، ثم يتدرب الجميع على تعليم قواعد الاستخفاف اللغوي من خلال الكتاب الذي يحتوي على قواعده ومواصفاته " (الحاج صالح، 1، 82/2007)

ولهذا البرنامج أو الخطة والمنهجية استدعى الحاج صالح لرئاسة اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية في الجزائر وبقي فيها بعض الوقت، ولكنه استقال بعد ذلك لسيطرة التغريبيين عليها (المنهج الغربي الفرنسي).

ج- عدم ترك السيادة للعامة في المستويين العفوي والمتكلف:

أي أخذ من العامة - كما سبق - ما هو عربي فصيح خفيف (المستوى العفوي) يقول في ذلك الحاج صالح: هذا و ينبغي أن ننبه أيضا بأنه لا توجد في الدنيا لغة واحدة إلا وفيها هذان المستويان من التعبير على الأقل، وأنه وإن اختلفا اختلافا شديدا وصار الثاني لهجة عامية، فالكارثة هي أن يترك لهذه العامة السيادة في التعبير الإسترسالي ويتناسى أن اللغة الفصحى يمكن أن تقوم بهذا الدور الحيوي " (الحاج صالح، 2007، 1/79/78).

د- تعميم المستوى العفوي لمختلف مجالات الحياة.

المسرح، التمثيل، الأشرطة، السينما، وسائل الإعلام، السمعي البصري.... الخ. لأنّ لهذه المجالات حاليا دور هام جدا في نشر اللغة والثقافة، وهي من وسائل الثقافة والتعليم والترفيه يقول الحاج صالح في ذلك: فإن نحن أردنا أن يقبل الناس على دراسة العربية، فلا بد من تشويقهم بتنبيههم على وجود مستوى من التعبير لا يقل خفة وعفوية عن العامة أو اللغات الحية الأخرى التي يوجد فيها هذا النوع من التعبير الاقتصادي، ولهذا فلا بد أيضا أن

نحمل مؤلفي التمثيليات والأشرطة السينمائية على استعمال هذا المستوى كلما كان المقام مقام أنس واسترسال، وهذا سيكون له تأثير عميق جدا على استعمال اللغوي العادي الطبيعي " (الحاج صالح، 1، 2007/164) ويفضّل الحاج صالح القول في ذلك كعادته في التطبيق أو التدريب (إقامة دورات تدريبية مماثلة للمذيعين وكل الذين يشافهون الجمهور من خلال الإذاعة والتلفزيون لتوعيتهم بنفس المفاهيم أولا ولتدريبهم على التميز بين الأداء الترتيلي الذي يلزمه المقام كنشرة الأخبار والندوات والمحاضرات، والأداء الإسترسالي الذي يجب أن تكون عليه الموائد المستديرة. والمناقشات غير الأكاديمية، وكذلك لغة المسرح والأفلام التي تمثل واقع الحياة وغير ذلك – يعوّد المذيعون على استعمال الرصيد اللغوي العربي حتى تتوجد اللغة دون أن تهدر الاختلافات الحقيقية التي تشكل ثروة لغوية واجتماعية مثل أسماء الملابس المحلية وألوان الأطعمة، وغير ذلك (الحاج صالح، 1، 2007/83) إن تعميم هذا المستوى العفوي على كل مجالات الحياة وخاصة الحساسة منها وهي مرتبطة جدا بالجمهور أو الشعب لهي مهمة جدا، وكذلك تدريب القائمين عليها بدورات تكوينية مهمة جدا تساعد نشر العربية الفصحى وتوسيعها.

ونضيف نحن اليوم التكنولوجيا الحديثة المسيطرة على كل مجالات الحياة من الشبكة العنكبوتية الشبكية (الانترنت) والهواتف الذكية والقنوات الفضائية العديدة المتنوعة المتوفرة ووسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك، فاير، واتساب، انستغرام.....الخ). التي تسيطر خاصة على شبابنا اليوم.

إنّ كلام الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في مفهوم العامية العربية ودورها في تعليم ونشر العربية الفصحى يتفق أو لا يخرج كثيرا في عموم مع أغلب الباحثين العرب المحدثين والمعاصرين ألا من شذ منهم : ويتحلّى الحاج صالح بصفات علمية وهي:

- التخصص الدقيق (لسانيات عامة ولسانيات عربية)
- الشمولية واتساع التفكير (ربط اللغة بالحضارة والرقى والتخلف، نشر اللغة في كل مجالات الحياة: تعليم، علم، تخاطب....، الفصحى ليست لغة أدب وشعر فقط. بل هي لغة علم وتخاطب، العربية مستويان: (عفوي ومتكلف)
- العمق في التفكير في التعاريف أو المفاهيم والأهداف والمناهج والتحليل العلمي.
- الجمع بين الأصالة والمعاصرة (لسانيات عربية وعامة حديثة).
- الدقة والتفصيل
- التحليل والوصف والتعليل والاستنتاج وأخيرا الإبداع والابتكار.

فهو ليس مقلدا، بل هو مبدع مبتكر، الأصالة والتجديد.

- الموضوعية التامة في البحث، اتباع الحقيقة من دون تعصب ولا تحيز.
- العقلانية، وعدم الاكتفاء بالشكل أو المظهر الخارجي والاستعمال المنهج الرياضي التحليلي التوضيحي مثل شومسكي والخليل بن أحمد وسيويه وابن جني (الأنماط والمثل الرياضية).

وفي الأخير نقول أنه تقريبا يشبه العلماء العرب القدامى الأوائل في هذه الصفات مثل الخليل بن أحمد و سيويه وابن جني والجاحظ وعبد القاهر البرجاني وابن خلدون وغيرهم ومن المحدثين العرب كمالك بن نبي وغيره. فهو لا يتخلى عن القديم الأصيل ولا يتبع الجديد برمته، بل يوفق أو يجمع بينهما، وعليه فهو يدعو هنا في هذا البحث وغيره إلى الإصلاح عامة وإصلاح العربية خاصة.

● ونضيف نحن بناء على ما سبق:

- يجب التركيز أيضا على المستوى المعجمي الذي لم يدرسه الحاج صالح كثيرا، لأنه يتعلق بالمفردات وهي من أهم وأكبر المستويات الأخرى وإن كان طبق ذلك بالاشتراك في الرصيد اللغوي المغربي العربي.
- يركز الحاج صالح على لغة التخاطب اليومي كلام الناس العادي). ولم يوسع اهتمامه بالكلام العامي الشعبي. ربما لأنه من الأدب (شعر شعبي ،الغاز ، حكايات ، أمثال ، حكم)، لأن فيه ثروة لغوية عامية فصيحة هائلة جدا تخدم العربية الفصحى كثيرا.
- لقد طبق الحاج صالح مفاهيمه وأفكاره غالبا في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، ولكن لأبد من توسيعه على كل مجالات الحياة: التعليم العالي ، الصناعات، المهن ، الحرف..... الخ.

الخاتمة

إنّ العربية الفصحى عند الحاج صالح هي إتباع النظام اللغوي العربي بكل مستوياته اللغوية دون لكنة. وشروطها هي مبدأ الكثرة دون نسيان القلة. وتمتد من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري.

أما العربية العامية فهي تلك اللغة العفوية التي تحتل المستوى الثاني العفوي، وهي بنت الفصحى لغة التخاطب والتواصل نشأت منذ القرن الثاني الهجري، تتميز بسقوط الإعراب عموما وعلاقتها بالفصحى وطيدة جدا، وتمتاز بالخفة والسهولة، لكنها بالغت في ذلك دون ضوابط وقواعد.

إنّ الهدف من دراستها هو إحياء هذا التعبير العفوي الفصيح الموجود فيها، وبالتالي الخروج من انزواء الفصحى في الأدب والدخول إلى ميادين الحياة كلها، وبالتالي توسيعها وتطويرها.

ولتحقيق هذه الأهداف النبيلة يجب إتباع الخطوات أو المناهج الآتية:

- التحليل العلمي للتراث العربي الأصيل (اللغة العربية) والتحليل العلمي لهذه العامية الحالية.

- إدخال المشترك أو المتفق عليه في مناهج التعليم والكتب المدرسية.
- عدم ترك السيادة للعامية (المستوى العفوى) وإدخاله في الفصحى.
- تعميم المستوى العفوي إلى كل مجالات الحيات (مسرح، إذاعة، تلفزة الخ).

الهوامش:

(1) اللكنة : هي إدخال حروف العجم في حروف العربية مثل: إبدال العين ألفا: تصنع (أ)، وهاء: (ه)، والطاء تاء: السلطان (ط)، (الجاحظ، د، ن، 92/1 والمبرد، 372، 373/1).

- قائمة المراجع:

❖ الكتب:

- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن يزيد)، د، ت، البيان والتبيين ، 3 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

- عبد الرحمن الحاج صالح، 2007، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، جزآن ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، الجزائر.
- عبد الرحمن الحاج صالح، 2007، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. وحدة الرغبة، الجزائر.
- Hadj-salah abderahmane.1979.linguistique arabe et linguistique générale, Essai de nothodologie et d'épéiste mologie du ilm-arabiyya.2 tems exemplaire , ronéotypé ,thèse de doctorat d'étude. Sorbone. paris 04.
- المبرد (أبو الحسن محمد بن يزيد) الكامل في اللغة والأدب، د، ت، جزآن، دار المعارف، بيروت، لبنان
- المقالات في المجلات والملتقيات :
- عبد الرحمن الحاج صالح، 1974، 1973، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية مجلة اللسانيات، عدد 4 ، معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر.

- عبد الرحمن الحاج صالح، 2006م ، تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العربي، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الرابع ، السنة الثانية، الجزائر.
- عبد الرحمن الحاج صالح، 1984م، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية ، ندوة تدريس اللغة العربية في الجامعات العربية، اتحاد الجامعات العربية الجزائر.
- عبد الرحمن الحاج صالح ، 1986م الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية.ملتقى الفكر الإسلامي (الإسلام والعلوم الإنسانية).وزارة الشؤون الدينية، سطيف، الجزائر.
- عبد الرحمن صالح، 1986م ، اللسانيات الحديثة وأفرها في دراسة لغة القرآن ، ملتقى الفكر الإسلامي (الإسلام والعلوم الإنسانية).وزارة الشؤون الدينية، سطيف، الجزائر.